

التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

قسم اللغة العربية

# الاتِّساق النَّصي في سُورِ الأنبياء

أطروحة تقدمت بها

إلى مجلس كلية الآداب في الجامعة المستنصرية

بهيجة فاضل عبد الرسول أبو الشعير

بعدها جزءاً من متطلبات نيل شهادة دكتوراه

فلسفة في اللغة العربية وآدابها

تحت إشراف

أ.م.د. عبير بدر عبد الستار

٢٠١٤

## المستخلص

يجب الدراسة لمصطلحي الاتساق والانسجام؛ كونهما الأوفق في الدلالة على مفهومهما الاصطلاحي. ضرورة دمج البنيتين السطحية والعميقة (الشكل والدلالة). يخلُ الفكر العربي من مفهوم للنص، وإن أطلقوا عليه تسميات أحرّ تعبر عنه، من نحو: الكلام، والنص، والمعلقة، وغير ذلك مما ينطبق عليه لفظ (نص). يساعد استعمال العرب للفظ (نص) بمعانيه المعجمية الباحثين المحدثين على جعلها لفظة اصطلاحية. - وإن الاتساق ذو صلة وثيقة بالنظم.

- إذا كان الغرو والانحياز لطرف ما أمراً مرفوضاً في البحث؛ فإن غمط طرفٍ ما حقه في البحث كذلك أمرٌ مرفوض؛ لذا فقد قامت الدراسة على إثبات أن للعرب فضل السبق في تأليف النصوص ونظمها ودراستها على وفق المعايير التي اقتصى آثارها الباحثون المحدثون وحددوها في نظرية وُسِّمَتْ بـ(نظرية علم النص)؛ ومما جعلنا نذهب إلى ذلك جملة أمور منها:

\* وجود مؤلفات تُعنى بالنص وبالكشف عن اتساق أجزائه، من نحو كتب التفسير وعلوم القرآن والبلاغة؛ كون النص القرآني الرافد الأول لدراسة النصوص العربية.

\* سمو ورقي النصوص العربية إذا ما صحت المقارنة بينها وبين النصوص التي عقد الباحثون الغربيون دراساتهم النصية عليها.

\* يعزى سبب عناية أكثر علماء العرب بدراسة النص مفككا، وذلك بعزل كلّ جملة على حدة إلى كون اللغة العربية لغة مُعرّبة، تتأثر معانيها بالحركات الإعرابية التي تظهر على أو في أواخر الكلم؛ الأمر الذي جعلهم النصية متناثرة في ثنايا مؤلفاتهم؛ مما حدى ببعض الباحثين المحدثين إلى الحكم على جهود العرب كانت منصبة على دراسة نحو الجملة حسب.

تعدّ عناية علماء العرب القدامى بالإعراب دليلاً على نظرهم الجزئية إلى النص، بل إن عنايتهم هذه مهمة من مراحل تحليل النص العربي، ثم إن إنعام النظر في علاقة الكلمة بما قبلها أو بما بعدها من وظيفة نحوية ودلالية سواءً أكانت داخل السياق، أم داخل التركيب، أم داخل النص تُعدّ مرحلة من مراحل التحليل النصي، ومقدمة إلى النظر في الجمل المكونة للنص؛ لكشف الروابط اللغوية والدلالية الحاصلة

هنا كانت العناية بالعلامات الإعرابية ركناً أساساً في تحديد وظائف مكونات النص. ومن دونها لا يمكن فهم النص.

التي تساهم في إثراء اللغة العربية وتوسيعها. كما تساهم في تطوير التفكير النقدي والقدرة على التحليل والتقييم. وتعدّ هذه المهارات من أهمّ مهارات القرن الحادي والعشرين. وتعدّ اللغة العربية من اللغات التي تتميز بالثراء والتعقيد. وتعدّ دراسة اللغة العربية من الدراسات التي تساهم في تطوير التفكير النقدي والقدرة على التحليل والتقييم. وتعدّ هذه المهارات من أهمّ مهارات القرن الحادي والعشرين. وتعدّ اللغة العربية من اللغات التي تتميز بالثراء والتعقيد. وتعدّ دراسة اللغة العربية من الدراسات التي تساهم في تطوير التفكير النقدي والقدرة على التحليل والتقييم. وتعدّ هذه المهارات من أهمّ مهارات القرن الحادي والعشرين.

سهمت الإحالتان (الداخلية والخارجية) في تحقيق الاتساق النصي بين أجزاء سُورِ الأنبياء، وكانت الإحالية بنوعها أكثر دوراً في سرد الأحداث ورسم الشخصيات؛ ذلك أنّها تعتمد ألفاظاً ليس لها دلالة محيطة، بل هي على عنصر أو عناصر آخر مذكورة سابقاً أو لاحقاً في جزء ما من أجزاء النص، في حين أنّ الإحالية تُعرّف عليها من أسباب النزول؛ ولما كان الغرض من عرض قصص أمم سابقة مع أنبياء سابقين رسول الله محمد "صلى الله عليه وآله وسلم"، كان الحديث في هذه السور عن سلوك تلك الأمم السابقين لها وعن مصائر مكذبيهم؛ لذا نجد أنّ ما يتعلق بأسباب النزول أقلّ نسبة من ذلك.

وقد كان للإحالة السابقة حضور أوسع إذا ما قيست بالإحالة اللاحقة؛ إذ كانت العناصر المحال عليها غالباً ما تكون متقدمة على العنصر المحيل؛ مما جعلها تبدو لمتلقي النص كلاً مُوحداً مُتسقاً؛ إذ بتتبع خيوط تلك الشبكة يتمكن من فك الشفرات، وربط الأحداث ومعرفة الشخصيات.... إلخ؛ مما يعمل على استمرار عملية التواصل وحفظ المعلومات في الذاكرة، ومن ثمّ التوصل إلى ما قد طرحته هذه السور من أفكار وقضايا.

تظافت الألفاظ الإحالية (الضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة) على خلق الاتساق المنشود في سُورِ الأنبياء؛ وذلك بنسجها شبكة من العلاقات الإحالية سوغت اختزال أحداث ومواقف كثيرة في نص سُورِ الأنبياء؛ تحقيقاً للاقتصاد اللغوي الذي تفرضه طبيعة الفن القصصي في عرض الأفكار الرئيسة والثانوية؛ مما أتاح لمتلقي النص الغوص في بنية النص العميقة في أثناء تتبعه خيوط تلك الشبكة من العلاقات؛ مما حقق الاستمرارية والتواصل مع النص وفهمه واستيعابه.

كان للاتساق

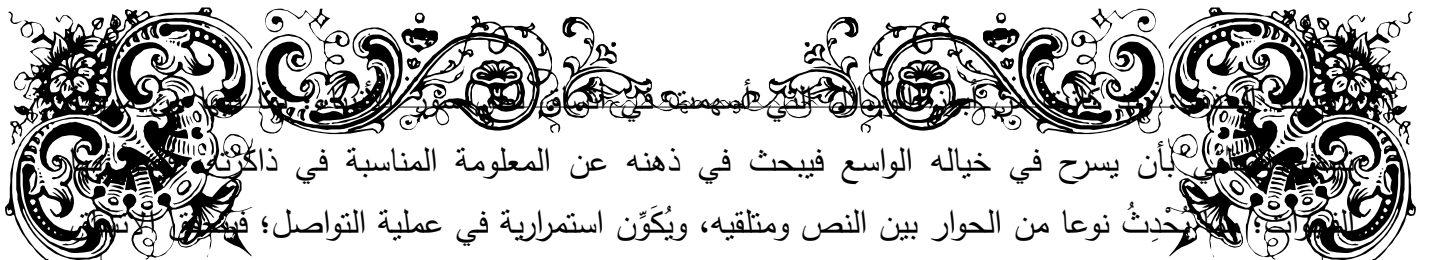
التركيبية إسهام فعّال في تحقيق الاتساق النصي في سُورِ الأنبياء؛ لما ضمّ من وسائل متنوعة من نحو:

وسيلة الاستبدال التي أسهمت بكل أنواعها إسهاماً جلياً في تحقيق الاتساق المنشود في سُورِ الأنبياء؛ كانت هذه الوسيلة على توسعة فضاء النص، ومكّنت المتلقي من تتبع الأثر وفك الشفرات وفهم الفكرة التي أنتجها منتج النص إنارتها أمامه، وكان الاستبدال الجملي أو القولّي أكثر اتصالاً بوسيلة الإحالة؛ ذلك للتعبير القرآني المعجز غالباً ما يلجأ إلى توظيف الألفاظ الإحالية؛ تنشيطاً لذهن المتلقي، وتأكيداً لما دُكر من أحداث أو أنباء سابقة وبطريقة موجزة.

وثمة نوع من الاستبدال تنفرد به اللغة العربية عن سواها من اللغات، يوسم بالاستبدال بال

التعبير القرآني المعجز في سُورِ الأنبياء توظيفه لا لغرض تحقيق الاقتصاد اللغوي بل بهدف إثراء النص وإثبات حقيقته. حيث خاص إلى حديث عام أو بالعكس أو لتأكيد قضية ما والتركيز عليها؛ وبذلك

تتمتع متلقي النص بقدرة عالية على فهم النص وربطها بالنتائج المعجزات التي أتت بها العبرة.



بأن يسرح في خياله الواسع فيبحث في ذهنه عن المعلومة المناسبة في ذلك الوقت. فيحدث نوعاً من الحوار بين النص ومتلقيه، ويكوّن استمرارية في عملية التواصل؛ فيتمثل ذلك في عودة بين أجزاء النص، ولغلبة النمط القصصي في سور الأنبياء كثرت هذه الوسيلة بأنواعها؛ مما يجعلها لاختزال كثير من الأحداث أو العبارات التي يمكن استنتاجها أو التنبؤ بها من الأجواء العامة للنص القرآني.

وسيلة الوصل: وقد كانت هي الأخرى ذات أهمية عظيمة وحضور واسع في سور الأنبياء؛ لما في أدائها معانٍ تُفيد في تحقيق تماسك دلالي في بنية النص العامة؛ الأمر الذي ساعد على سرد أحداث كثيرة وسرد سابقة، يفيد منها متلقي النص في أخذ العبرة وتعديل سلوكه على وفق مبادئ السماء؛ مما حقق اقتضاه لغوياً مشهوداً واتساقاً جلياً في سور الأنبياء أدى إلى استمرار عملية التواصل بنجاح، ومكّن المتلقي من فهم الأفكار الرئيسية والثانوية التي بُنيت فيها.

#### وسيلة

٤.

الفصل (ترك الوصل): وقد كان لها حضور جليّ في سور الأنبياء؛ إذ كشفت لنا عن فوائد جمّة وأسرار غزيرة لا غنى لمستعمل اللغة عن معرفتها؛ ذلك أنّ الجمل التي يقرر بعضها بعضاً، تتسق اتساقاً ذاتياً فتشكل فيما بينها علاقات تبدو لمتلقي النص أقوى مما هي عليه في حال الوصل؛ لذلك كان عدّه أولى في البلاغة من غيره، وفي انتظام هذا النوع من الجمل وبناء بعضه على بعض ما يتجلى منه قوة الأسلوب في الكلام، وجودة بلاغته، ولا سيما أنّ سور الأنبياء قد اعتمدت نمط السرد القصصي القائم على الحوار؛ مما عمل على إحداث جاذبية جلية بين نص هذه السور ومتلقيها، وأظهر اتساقاً مشهوداً بين أجزائها.

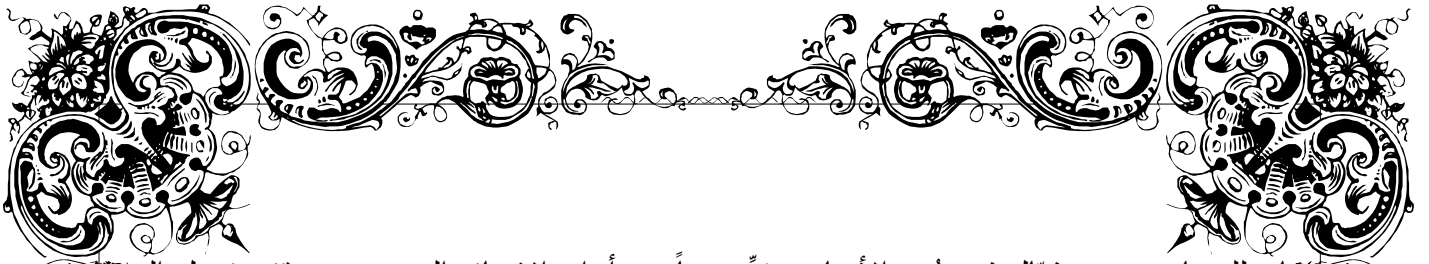
— كان للاتساق اللفظي والمعنوي فائدة كبيرة؛ لما تتيحه لمنتج النص ومتلقيه من فرصة الإبحار في عالم النص؛ لاقتناص الدلالات العميقة التي تجعله في تواصل مستمر مع النص قادراً على فك شفراته.

أهم التكرار بنوعيه (اللفظي والمعنوي) في تحقيق الاتساق النصي في سور الأنبياء؛ بتأسيسه شبكة علاقات، على حدٍ سواء فيما بين العبارات في الآية الواحدة، أو فيما بين آيات السورة الواحدة، أو فيما بين سور الأنبياء عامة، مما ساعد على ارتباط المعنى السابق باللاحق وجعل النص كلاً موحداً مستمراً.

له أهمية بالغة وحضور واسع في هذه السور؛ لما لها من خصوصية في عرض قصص أنبياء سابقين، يعودوا إلى أمم سابقة متماثلة في سلوكها ورفضها رسالات السماء؛ لذا فقد تماثلت سياقات التهديد، والوعيد، والتخويف، والجزاء، والإنذار، والعظة أو الاعتبار، غير أنّها تعود إلى هدف واحد هو الإنذار بالعدل والهدى والمعاد، والقضاء العدل بين الرسل وبين أممهم المكذبين لهم، فضلاً عن أنّ الله عز وجل

بالفانل مختلفة تؤدي معنى واحداً، في مواضع مختلفة على ترتيبات متماثلة؛ إذ ظهر ذلك في





كان للتضام حضور فعّال في سُور الأنبياء، بَعْدَهُ نوعاً من أنواع الاتساق المعجمي يتحقق بفضل العلاقة القائمة بين أزواج من العناصر المعجمية التي يمكن إدراكها في أثناء فكِّ شفرات النص؛ ذلك التحدُّد على المعرفة المسبقة لدى المتلقي بالكلمات المائلة إلى الظهور المشترك المتكرر في السياقات المشابهة، فضلاً عن فهمها في سياق النص المتسق؛ مما حقق اتساقاً مشهوداً فيما بين أجزاء سُور الأنبياء. يمكن للموضوع والمناسبة بأنواعها أثر فعال في تحقيق الاتساق النصي في سُور الأنبياء، وقد تجلّى ذلك في الربط بين اسم السورة ومضمونها، وبين بداية السورة ووسطها ونهايتها، وبين خاتمة سورة ومستهل سورة أخرى. وهكذا حتى كَوْنَت سُور الأنبياء مُجْتَمَعَةً هالة متكاملة متسقة الأجزاء.

– على الرغم من تعدد مضامين سُور الأنبياء وجدناها تعالج موضوعاً واحداً هو التوحيد والتذكير بمسألة المبدأ والمعاد، فضلاً عن قضايا كثيرة جذرية يربط بين أجزائها رابط معنوي ظاهر أو خفي؛ مما يجعل من هذه السور وحدة متكاملة الأجزاء شكلاً ودلالة محققة بذلك الاتساق المنشود؛ فكل سورة من هذه السور مفصلة لما أُجمل في السورة التي تَقَدَّمَتها، وفاتحة كل سورة لها علاقة بخاتمة المتقدمة عليها، فضلاً عن أنّ كل سورة من هذه السور جاءت باسم نبي من أنبياء الله عزَّ وجلَّ، وأما سورة الأنبياء فقد ضُمَّت قسماً آخر من أنبياء الله ممن لم تأت بأسمائهم سُورٌ؛ مما أمكن حصر هذه السُور مُجْتَمَعَةً تحت عنوان واحد هو (سور الأنبياء).

– التناسق والتناسب بين الفواصل عامة، شكلاً ومعنى، كان له أثر فعّال في انتظام أجزاء النص وتكامله. وبذلك تكون جميع وسائل الاتساق النصي قد أسهمت في الكشف عن ترابط أجزاء السور المخصوصة بالبحث وتكاملها مجتمعة في بيان الفكرة الرئيسية (فكرة التوحيد)؛ مما دعانا إلى ضمها تحت عنوان جامع (سور الأنبياء).

